الذوق اللغوي وأثره في اللغة

م.د. عمر محمد عوني
جامعة الموصل/كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٨/١/١٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٨/٥/٢١

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالذوق اللغوي ، الذي يعني القدرة على إدراك معاني الأشياء والنفوذ إلى أسرارها ، وقد استعمله اللغويون في وصفهم أو توجيههم أو نقدهم اللغوي، وقد يصرحون به في بعض المواضع عند الغوص في قضايا اللغة وأساليبها ، ويهدف أيضاً إلى بيان موقع الذوق اللغوي وقوته بين الأدلة التي يُحتَكَم إليها في اللغة ، إذ لم يُشَر إليه كثيراً بين الأدلة اللغوية، ثم بيان أثره في العربية وأساليبها من خلال التراث اللغوي.

The Linguistic Sense and its Effect on Longuage

Lecturer. Dr . Omar Mohammed Aunee
University of Mosul \College of Education

Abstract:

This research aims at presenting the linguistic sense which means the ability to comprehend the meaning of things and to penetrate into their secrets . This linguistic sense has been used by the grammarians in their description or direction or linguishing criticism , and they may have stated it in some contexts when dealing in depth with language subjects and styles . The research also aims at pointing out the position of linguistic sense and its strength among the evidences that are taken into consideration in language since the linguistic sense has not been referred to much among the linguistic evidences . The effect of the linguistic sense is also shown on Arabic language and its styles through the linguistic heritage .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

لقد اعتمد علماء اللغة على عدد من الأدلة حين بنوا موضوعاتهم اللغوية ، وكانت هذه الأدلة شائعة بينهم معروفة عندهم ، و وضعوا لها الضوابط والأصول التي تحكمها ، وفصلوا في ذلك تفصيلاً ، ومن الأدلة التي اعتمدوا عليها (السماع ، والقياس ، واستصحاب الحال) وغيرها من الأدلة ، ولكنهم لم يشيروا إلى دليل يسمى (الذوق اللغوي) ليس ذاك لنقص في علمهم أو قصور في فهمهم ، بل تركوه ربما لأنهم وجدوه مسألة فردية تتعلق بقدرات الشخص ومواهبه وامكاناته ، وذلك مما يتفاوت فيه الناس ، ولذلك ضربوا صفحاً عنه ، لأنه لا تحكمه قواعد خاصة ، بل هو ميال إلى التفلت والانطلاق إلى الآفاق الرحبة وكسر القيود المرصوفة التي لا يعبأ بها ، ولقد ظلت عبارة تراودني بين الفينة والفينة قرأتها منذ سنوات قليلة لابن هشام الأنصاري في كتابه (شرح قطر الندى وبل الصدى) جاءت عند حديثه عن الفرق بين (لما و لم) الجازمتين للمضارع ، قال فيها : (ان (لما) تؤذن كثيراً بتوقع حدوث ما بعدها ، والاستعمال والذوق يشهدان بهذا) ، بقيت تلك العبارة عالقة في ذهني ، لذا جاء هذا البحث المتواضع ليسلط الضوء على ما قصده ابن هشام وغيره من لغويينا بالذوق ، وليبين مدى حجيته في اللغة وأثره فيها .

الذوق لغة واصطلاحاً

الذوق : ((الذال والواو والقاف أصل واحد ، وهو اختبار الشيء من جهة تَطَعُّم))(١)، و((المذاق طعم الشيء ، والذوّاق هو المأكول والمشروب)) (٢)، وأصل الذوق هو : ((ما يقل تناوله دون أن يكثر)) (٣). ولهذا التحديد أهمية نذكرها فيما بعد ، وهذه المعاني حسيّة يقوم بها اللسان للتعرف على طعوم الأشياء عندما تذاب وتتفاعل مع العناصر المفروشة على جرم اللسان ، وإذا كان محل لذة الكلمة مركوزاً في اللسان من حيث النطق بالكلام ، وهو أيضاً محل لإدراك الطعوم استعير لها اسمه ، ثم انتقلت الكلمة من هذا المعنى الحسي الذي هو اختبار الأشياء باللسان لتحديد طعمها ، إلى المعنى الاصطلاحي الذي يعني اختبار الأشياء بالنفس لتحديد خصائصها الجميلة أو القبيحة ، كجمال الألوان وتناسقها ، ورونق الألفاظ

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ٣٦٤/٢ .

(٢) لسان العرب : ابن منظور : ١٠٨٤/١ .

(٣) معجم مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني : ١٨٥ .

وبلاغتها(١). ولذلك قد يخص الذوق بما يتعلق بلطائف الكلام ، لكونه بمنزلة الطعام اللذيذ الشهي لروح الإنسان المعنوي ، ولا تعرف لطائف الكلام إلا بقوة مهيأة للعلم كاملة في الإدراك(٢). تسبر أعماق الألفاظ وتغوص في بحور معانيها ، لتخرج لنا دررها وجواهرها الكامنة ، فلا شيء يغذي روح الإنسان مثلما تغذيه لطائف الكلام . وهناك مصطلح الحس غالباً ما يستعمل بدل الذوق ، سنورده لنبين التقارب الدلالي بينهما :

الحس :

من الحركة ، يقال : ما سمعت له حساً ، ((وأحسست من فلان أمراً ، أي : رأيت ، والحس الحسيس تسمعه يمر بك ولا تراه ... وتحسست خبراً أي : سألت وطلبت)) (٣). وذهب احمد بن فارس ت (٣٩٥هـ) إلى أن الحس له أصلان : ((الأول : غلبة الشيء بقتل أو غيره، والثاني : حكايةُ صوتٍ عند توجّع وشبهِه)) (٤). وان كان تقيده لمعاني (حسّ) بهذين الأصلين فيه نظر ، لأن بعض المعاني لا يمكن ردها إلى هذين الأصلين إلا بالتعمّل والتصنّع، والحس هو : ((الصوت الخفي ، وحس بالشيء شعر به)) (٥). ولهذين المعنيين خاصية نذكرها فيما بعد، ولو تأملنا جملة هذه المعاني لوجدناها حسية تدرك بالحواس ، كالسمع والبصر واللمس ، ثم انتقل هذا المعنى الحسي عن طريق ما يؤول إليه الشيء إلى ((القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، ومحله مقدم التجويف الأول من الدماغ)) (٦). وذلك لأن محل إدراك الأشياء والمعاني هو العقل الذي يدركها عن طريق الحواس ، والعقل في الحقيقة هو الذي يحس وهو المعول عليه في الفهم ، وما الحواس إلا وسيلة ناقلة . وقد التفت الراغب الأصفهاني ت (٥٠٣هـ) التفاتة جميلة عند ذكره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ آل عمران : ٥٢ قال : ((قد ظهر منهم الكفر ظهوراً بان للحس فضلاً عن الفهم)) (٧). فإذا كان الحس قد وعيه فكيف لا يعيه العقل والفهم وهما مرجعا الحس ؟ .

---

(١) ينظر : موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفني : جهاد المجالي : مؤتة للبحوث والدراسات : الأردن : مج٨ : ع٢ : ١٩٩٣م : ص١٥٨ .

(٢) ينظر : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء الكفوي : ١٥/٢ .

(٣) ينظر : كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٩/٣ .

(٤) معجم مقاييس اللغة : ٩/٢ .

(٥) لسان العرب : ٦٣٣/١ .

(٦) التعريفات : علي بن محمد الجرجاني : ٥٢ .

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن : ١١٥ .

وعودة على بدء ، فقد قلنا إن أصل الذوق هو : (فيما يقل تناوله دون ما يكثر) ، وما أصدق هذا التحديد لحال التذوق ، فالمتذوقون يتلمسون اللمحات الخاطفة والإشارات السريعة العابرة وهي قليلة نادرة ، كما أن المتذوق باللسان لا يعلق بلسانه إلا نزر يسير يتطعم به ، ولكنه بهذا التطعم السريع يدرك ماهية الشيء ، ويحدد صفته ونوعه ، ويحس بحلاوته وطلاوته ، بخلاف غيره من أعضاء الجسم ، تمتلئ بالطعوم ولا تدرك ماهيتها ، ثم ان المتذوقين قليلون إذا ما قورنوا بغيرهم من بني البشر ، كما أن اللسان يتذوق شيئا يسيراً من الشيء المذاق .

ويشارك الحس الذوق في هذه الخواص ، فقد أشرنا الى أن الحس هو : (الصوت الخفي والشعور بالشيء) ، والصوت الخفي لا يدركه كل سامع ، بل يعقل معناه ويفهم مغزاه من كان له سمع مرهف وأذن واعية تدرك الصوت ولو كان همساً ، كالمتذوق تماماً ، يدرك الأشياء الخفية ويجعلها في تصوره واضحة جليّة ، وهي تبدو للناس فيما تبدو غامضة عميّة ، وهو كذلك يشعر بالشيء شعوراً متميزاً ، يسبر غوره ويدرك كنهه .

وبهذا يتبين أن كلمة (الحس) تشترك مع كلمة (الذوق) في المعنى الدلالي ، وكثيراً ما تتبادل اللفظتان مواقع نظمهما في الكلام ، فالمتكلم تارة يقول : (الذوق) اللغوي ، وتارة يقول (الحس) اللغوي، وهو بهذا الاستعمال لا يقصد تفريقاً بينهما ، فالذوق ((بمنزلة الإحساس))(١). والحس ((مرادف للذوق)) (٢).

الذوق بين الفطرة والاكتساب

إن الذوق اللغوي موهبة وقدرة على إدراك معاني الأشياء ، والنفوذ الى أسرارها ، فهو : ((نور عرفاني يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه)) (٣). منّةً منه سبحانه وتعالى ، إلا انه بعد ذلك يصقل ((بالممارسة والدرس والتحصيل)) (٤)، فالموهبة وحدها لا تكفي إن لم يشفعها درس وتحصيل وإجهاد العقل والفكر ، والكد في النظر لإيجاد الوشائج التي تربط بين الأشياء التي تبدو في بؤرها الأول وصورها الأصل غير مترابطة . وفيما يتعلق بالذوق اللغوي فمع الموهبة لا بد من ((الإتقان للغة ، والتمكن من ظواهرها وأساليبها المختلفة)) (٥)، لكي يكون

---

(١) الكليات : ٣٦٠/٢ .

(٢) المعجم الفلسفي : جميل صليبا : ٤٦٧ .

(٣) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : عبد النبي عبد الرسول الأحمد نكري : ٤٧/١ .

(٤) الذوق اللغوي عند ابن جني : شعبان عبد العظيم : جامعة الأزهر – حولية كلية اللغة العربية – القاهرة : ع٢ : ١٩٨٤ : ص٢٥١ .

(٥) م . ن : ٢٥١ .

حكم المتذوق اللغوي صادقاً قائماً على معرفته لجوهر لغته ودقائق أساليبها ، مستهدفاً بذلك كله إلى امتاعنا بنظراته التي لا نجدها عند غيره ، مهما بلغ هذا الغير من منزلة ، وقليل هم من يجمعون بين الموهبة والصنعة .

الذوق اللغوي بين المعيارية والدليل اللغوي

ونعني بالمعيارية أن يحدد الذوق اللغوي على وفق معايير ثابتة لا يجوز تجاوزها ، وهذا التصور كان سائداً في نقدنا العربي القديم إذ وضع النقاد معايير ذوقية للكلام الجيد وإذا ما نبا الكلام عن هذه المعايير عدّوه ضعيفاً هجيناً كما سنبينه فيما بعد . يقول إحسان عباس متحدثاً عن الآمدي : ((فهو لا يستطيع أن يتقبل ذوقياً إلا المعنى القريب الذي يسلم للقارئ نفسه في صياغة جميلة إسلاماً مباشراً دون إعمال خيال أو إجهاد فكر ، ولا يجد لذة في التعمية والإبهام)) (١). فكل ما يخرج على هذه القواعد الذوقية فهو غير مقبول ، ونحن هنا لا نريد الذوق اللغوي في هذا المعنى ، وإنما نريده دليلاً نحتكم إليه في قضايا ومفاهيم لغوية تصادفنا ، وربما لا نستطيع أن نجد لها تعليلاً مقنعاً فنلجأ إليه نستأنس به وهو متأصل في أعماقنا ، إذ كثيراً ما نسمع عبارات تدل على هذا الذوق مثل : (هذا ما أحسه) أو (إحساسي يقول لي كذا) ويحدث هذا في أدق المسائل العلمية ونعول عليه ونجعل منه ((حكماً صادقاً في كثير من الأحوال والمواقف)) (٢). ونريده ذوقاً متقناً للغة متمكناً من أساليبها ، يتحفنا بكل معنى ظريف ولفظ لطيف ، وهذا الذوق المعتمد هو ((ذوق ذي البصر ... وهؤلاء يستطيعون عادة أن يعللوا الكثير من أحكامهم،وفي التعليل ما يجعل الذوق وسيلة من وسائل المعرفة))(٣). والذوق المستنير هو الذي اجتمع فيه الوعي الحسي مع الوعي العقلي ، وليس ذوقاً فوضوياً أو ذوق العامة ، يعلل مواطن الجمال وان كان بعضها لا يمكن أن يعلل ، وهي فكرة أشار إليها بعض النقاد القدامى بقولهم : ((من الأشياء التي تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة)) (٤). ولعل في هذا التفسير ما يدفع التناقض عن كلامنا في صدر مقالتنا بأن الآمدي كان لا يتذوق إلا المعنى القريب . إذ قد يسأل سائل ويقول : إن الآمدي ذوقه يرفض الذوق البعيد وآخر ذوقه يطلبه ، فهل هذا يؤدي إلى اعتباطية الذوق وعدم صلاحية معياريته ؟ ، قلنا: إن ليس كل ذوق مصيباً ، بل ربما يكون هناك ذوق فاسد ، فالناس متفاوتون في مدارج السمو ، وكلما رقى عقل الإنسان كان تذوقه أكثر نضجاً واصدق حكماً ، فلا يكون حجة علينا، كما أن ليس

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ١٧٢ .

(٢) المعجم الأدبي عند العرب : جبور عبد النور : ١٢٢ .

(٣) النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور : ٧٨ .

(٤) موقف النقاد العرب القدامى من قضية الذوق الفني : ١٦٨ (بحث) .

كل من قاس شيئاً على شيء يكون مصيباً بل قد يخطيء (القياس الخاطيء) ، وليس هناك أحد يدعي ان القياس لا يعد دليلاً ويرفضه ويشكك في مصداقيته ، وبهذا يندفع عنا الإشكال ، وتسلم مقالتنا من الزيغ .

وقد أشار ابن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) ، إلى أن الذوق يعد دليلاً يهتدي به عندما تكلم على الفارق بين (لم و لما) الجازمتين للمضارع قال : ((إن لما تؤذن بتوقع ثبوت ما بعدها نحو : ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ (١). أي : إلى الآن لم يذوقوه وسوف يذوقوه ، ولم ، لا تقض ذلك ، ذكر هذا المعنى الزمخشري ، والاستعمال والذوق يشهدان به)) (٢). فانظر كيف عرج على الذوق وحكّمه في مسألة دقيقة من لطائف اللغة التي لا يدركها إلا المتذوقون، فالآية تعني أنهم لم يذوقوا العذاب ((بعد فإذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ ، يعني أنهم لا يصدقون به إلا أن يمسهم العذاب مضطرين إلى تصديقه)) (٣). وهذا الفرق الدقيق بين (لم و لما) لا يدركه إلا من صقلت موهبته وسمت فطرته ، فالمنفيّ بـ(لما) فيه معنى التوقع ، ذلك لأن (لما) لنفي (قد فَعَل) و (قد) فيها معنى التوقع(٤). فقولنا (قد حضر محمد) معناه انه كان متوقعاً حضوره فحضر و (لما يحضر محمد) معناه انه لم يحضر ومتوقع حضوره . أمّا (لم) فليس فيها معنى التوقع لأنها لنفي (فَعَل) ، فقولنا : (لم يحضر محمد)ليس فيه معنى التوقع)) (٥).

((هذا بالنسبة إلى المستقبل ، أما بالنسبة إلى الماضي فهما سِيَّان في نفي المتوقع وغيره، مثال المتوقع أن تقول : مالي قمت ولم تقم ، أو لما تقم ، ومثال غير المتوقع أن تقول ابتداء : لم نقم ، أو لما تقم)) (٦). وربما استعملت (لما) في غير المتوقع أيضاً نحو : (ندم ولما ينفعه الندم) وذلك لأن (قد) ربما تأتي لغير المتوقع(٧).

إن مدرسة القواعد التحويلية أدخلت عنصر المعنى ونظام المعاني بوصفه أحد الأسس التي يجب أن تدخل في نطاق أية دراسة لغوية ، والمتحدث عن قدرة أصحاب اللغة الأصليين على تمييز الخطأ من الصواب ، وعلى معرفة مواطن اللبس في بعض الجمل والتراكيب عن

---

(١) سورة ص/٨ ، وتمام الآية : ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا﴾ يَذُوقُوا عَذَابِ.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدى : ٨٦ .

(٣) الكشاف : الزمخشري : ٣١٧/٣ .

(٤) كتاب سيبويه : عمرو بن عثمان : ٢٢٤/٤ .

(٥) ينظر : معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي : ٣٩٠/٢ .

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام الأنصاري : ٢٧٩/١ .

(٧) شرح الكافية في النحو : محمد بن الحسن الاسترابادي : ٢٥١/٢ .

طريق حسهم الداخلي الذي يسمونه بالإنكليزية(Intuition) ، والذي لا يعده العلماء الطبيعيون عنصراً موضوعياً يمكن الاعتماد عليه في البحث العلمي(١).

ومن الأدلة التي تثبت أن الذوق اللغوي يعد دليلاً انه يستخدم لإثبات قواعد وقوانين تستند إليه ، قال تمام حسان في معرض حديثه عن الحروف المتماثلة أو المتقاربة : ((ولكن هناك ذوقاً وعرفاً لغوياً عند العرب أصحاب السليقة جعلهم يكرهون توالي الأمثال وتوالي الأضداد ويألفون توالي الأشتات ، فإذا توالى المثلان أو المتقاربان من هذه الأصول كره العرب تواليهما ، ومن ثم عدلوا عن أصل احدهما ومالوا به إلى مخرج الآخر أو بعض صفاته ، فآلوا بالنطق إلى الإدغام أو الإخفاء أو الاقلاب ... الخ)) (٢). فهذا الذوق اللغوي المرتكز على أصول وقواعد يتأوّل إليه عندما يراد توجيه ظاهرة لغوية معينة ، وإذا لم يستطع الذوق أو الحس قبولها فإنها ستجابه بالرفض ، لذلك رفض الرأي القائل بأن الألفاظ لها جرس يعبر عن حقيقتها ، وأن لفظة الأحمر مثلاً لها جرس يعبر حقيقة عن هذا اللون ((قلنا لهم : هل هناك مانع من حس أو وجدان أو عقل أو حتى من طبيعة يمنعنا ، إذا كان الأمر كما تقولون من أن نطلق لفظة (الأحمر) على خضرة النبات أو سواد الليل)) (٣).

وقد استهدى الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي بالذوق اللغوي وجعله دليلاً من الأدلة التي استخدمها أبو الفتح عثمان ابن جني ت (٣٩٢هـ) في توجيهه للقراءات الشاذة في كتابه: (المحتسب) ، وعزا ذلك الذوق اللغوي إلى قدرات ابن جني ، فهو ذو ملاحظة دقيقة يلمح الإشارات الخاطفة ، ويتنبه إلى دقائق اللغة وجزئياتها(٤). وضرب طائفة من الامثلة ، كتوجيه ابن جني لقراءة الأعرج وعمرو بن عُبيد (خُطُؤَات/البقرة : ١٦٨) بالهمز قال ابن جني : ((والهمز فيه ضعيف ، لكن لما كان من فعل الشيطان غلب عليه الخطأ ، فلما تصور ذلك المعنى أطلعت الهمزة رأسها وقيل خُطُؤَات)) (٥).

أثر الذوق اللغوي في اللغة

يؤثر الذوق اللغوي تأثيراً فعلياً في اللغة ، ويسهم في تنميتها وتطوير أساليبها ، وبيان موارد أصولها وخصائص فروعها ، ويتم ذلك بطرائق وأنماط مختلفة ، كوضع الألفاظ إزاء

---

(١) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرما : ٧٩ .

(٢) الأصول : ١٣٥ .

(٣) توطئة لدراسة علم اللغة ، التعاريف : التهامي الراجي الهاشمي : ١٠٩ .

(٤) أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية وآثاره في القراءات والنحو : ٣٤٢ ، وينظر : ابن جني النحوي : ٢١٢ ، ٢١٦ .

(٥) المحتسب : ١١٧/١ ، وقراءة المصحف ،﴿ خطوات ﴾.

المعاني الملائمة لها والمتجانسة معها مما يجعل المتكلم أو المستمع يحس إحساساً عميقاً بدقة اللغة ولطافتها ، وتجعله ينتبه إلى ((خطورة استعمال اللفظة لما تحمله من شحنات معنوية ينبغي التفطن لها قبل أن ترسي في مكانها من العبارة المقولة)) (١). ان الذوق اللغوي السليم المتمرس باللغة العربية يجعل الكاتب أو المتحدث يعبر بألفاظ فصيحة جميلة ، لها وقع مقبول، تألفه الأسماع لسلامة نسجه وحلاوته ، وهذا ينعكس على مفردات اللغة وأساليبها ، إذ يجعل التعبيرات اللغوية في التراث اللغوي تتجنب الاضطراب وسوء الاستعمال في اللفظة أو التناسق في النظم ، وبالتالي تجنب الأساليب العربية الانحراف عن المعنى المقصود أو القبح في السمع الذي تنفر منه الأطباع ، فقد اشترط النقاد القدامى معايير لفصاحة الكلام في اللفظة الواحدة ، أو في تأليف الكلام(٢). منها تَكَوُّن المفردة من حروف متباعدة المخارج ، وان تكون مألوفة بعيدة عن التوعر والوحشية ، وغير ساقطة عامية ، وكونها معتدلة غير كثيرة الحروف ، فان خروجها عن الأمثلة المعتادة يبعدها عن الفصاحة ، كقول المتنبي(٣):

إنّ الكِرَام بلا كِرَامٍ مِنْهُمُ   مثلَ القلوبِ بلا سُوَيْدَاوَاتِهَا

فسويداواتها هنا غير فصيحة عند النقاد لطولها ، قال ابن جني : ((فدل ذلك على استكراههم ذوات الخمسة لإفراط طولها فاوجبت الحال الإقلال منها وقبض اللسان عن النطق بها الا فيما قل ونزر ، ولما كانت ذوات الأربعة تليها وتتجاوز اعدل الأصول –وهو الثلاثي– إليها مسها بقربها منها قلة التصرف فيها)) (٤).

أما في مقاييس التركيب الفصيح المألوف للنفس الذي يقبله الذوق ، فاشترطوا حسن الألفاظ ومزيتها مع بعضها في التناسق والتناغم ، وجريان الكلمات على الأعراف العربية الصحيحة في التأليف ، وعدم التكرار في الأساليب النحوية كالتصغير والنداء والنعت وغيرها، وتباعد مخارج الحروف ، أي تجنب تكرارها في الكلام(٥). كقول المتنبي :

ولا الضِعْفُ حتى يبلغَ الضِعفَ ضِعفُهُ   ولا ضِعْفَ ضِعْفِ الضِّعْفِ بَل مِثْله أَلْفُ(٦).

---

(١) نظر الجاحظ في فهم وذوق النص القرآني والحديثي : مصطفى الصاوي الجويني : مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة : ج٢ : ١٩٧١م : ص١٤٧ .

(٢) ينظر : سر الفصاحة : ابن الأثير : ٦٦-١٠١ .

(٣) ينظر : شرح ديوانه : ٦٥ .

(٤) الخصائص : ٦٣/١ .

(٥) المثل السائر : ابن الأثير : ٤٣٧/١ .

(٦) ينظر : شرح ديوانه : ١٧٤ .

فهذا التكرار لا يقبله الذوق اللغوي ، قال ابن دريد (ت٣٢١هـ) : ((اعلم ان احسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف المتباعدة ، الا ترى أنك لا تجد بناء رباعيا مصمت الحروف لا مزاج له من حروف الذلاقة الا بناء يجعل بالسين وهو قليل جدا مثل عَسجَد وذلك ان السين لينة وجرسها من جوهر الغنة ، فلذلك جاءت في هذا البناء فاما الخماسي ، مثل فرزدق وسفرجل وشمردل فانك لست تجد واحدة الا بحرف و حرفين من حروف الذلاقة من مخرج الشفتين أو أسلة اللسان)) (١).

وقد الجأ تنامي الذوق العالي اللغويين الى نقد بعض الشعراء والمبدعين لاصلاح لغة النص المروي أو المكتوب ، وتخليصه من التحريف والخطأ والشذوذ عن التعبير اللغوي المعهود المطرد ، فأدى ذلك إلى نشاط التأليف في النقد اللغوي بمعايير قياسية تنسجم مع ذوق النقاد من أساليب فصيحة ثم تنامت الآراء في الحكم على النظم السليم قياساً وذوقاً ، لحماية اللغة ، وابعاد الفساد عنها وتهذيبها وتنميتها(٢).

وقد يكون للفظ معنى قريب متداول وآخر متوسط وثالث بعيد المنال لا ينال إلا بإكباد الفكر وإجهاد العقل كأنك تقدح حجراً بحجر لتوقد شرارة الفكر لاستجلاء المقصود واستحصال المطلوب ، فأنت كالمنقب الأثري يكد وينصب ويبيت الليالي سهران الدجى ليحل شفرة حرف أو رمزاً غالباً ما يخاف عليه الكسر ، فيفلت منه المبتغى والمعنى ، والذوق هو الذي يمسك بخيوط المعنى ، ولولاه لضاع اشرف المعاني واجملها وقد تتشابه الألفاظ لتشابه المعاني وهو باب لطيف لا يدركه الا المتذوق الفذّ ، نبّه إليه ابن جني بقوله : (كان غفلاً مسهوّاً عنه) (٣). وعنونه بـ(تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) ، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعنى مثل (أزّ) و (هزّ) ، من ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(٤). أي ((تزعجهم وتقلقهم ، فهذا في معنى تهزهم هزاً ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين . وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز ، لأنك قد تهز من لا بال له ، كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك)) (٥). وكما ترى فالمادتان تدوران حول التحريك وهو في : (الأزّ) معنويّ ، وفي (الهزّ) حسيّ ، والإزعاج النفسي تحريك معنويّ ، والهمزة وفقاً لهذا المعنى فهي حرف شديد،

---

(١) جمهرة اللغة : ١١/١ .

(٢) النقد اللغوي عند العرب : نعمة رحيم العزاوي : ٤٢٧ .

(٣) الخصائص : ١٤٧/٢ .

(٤) سورة مريم/٨٣ .

(٥) الخصائص : ١٤٨/٢ .

وجاء قوله تعالى : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾(١). على التحريك الحسي ، وابن جني كان ذوقه هنا موفقاً في اختيار هذا العنوان ، فقد آثره في التقارب لدلالات معينة ، فالتصاقب في اللغة يطلق على((صقب الناقة ، ولدها ... والصقب عمود يعمد به البيت ، وقيل هو العمود الأطول في وسط البيت ، والصقب الملاصقة والقرب)) (٢). ولذلك آثره للاعتبارات الآتية :

١. للدلالة على قوة ارتباط المعاني بالألفاظ كتصاقب الناقة ولدها .

٢. التصاقب المعنوي أساس التصاقب المخرجي اللفظي ، فهو كالعمود الذي عليه البيت(٣).

وللذوق أثر في اللغة في نسجه للتعبير المجازي الذي يؤدي إلى ايجاد تعبيرات جديدة، فالطعام أو الماء الزاعق أي الفاسدين لكثرة الملح في الطعام أو مر غليظ في حالة الماء ، فقد شبههما بكائن يصيح وهذا تعافه النفس ، ويبعث فيها الضيق والألم مثل الطعام الفاسد والماء المر ، والعلاقة هي وحدة الأثر النفسي(٤). لذلك فبعض هذه التعابير قد ترد ولا تقبل ، لأن الذوق السليم لا يستسيغها بل ينفر منها على حين أن بعضها الآخر يقبله ويمجده ، انظر الى قول أبي تمام الطائي :

بيضاءُ تسْري في الظّلام فيكتَسي ... نوراً فتبدو في الضياءِ فيظلم
ملطومةٌ بالوردِ أطلق طرفها ... في الخلقِ فهو مع المنون محكم

علق عليه الآمدي قال : ((وقوله ملطومة بالورد يريد حمرة خدها ... وإنما ذهب الى قول أبي فراس (وتلطم الورد بعناب) وهذه كانت تلطم في الحقيقة في مأتم على ميت بأنامل مخضوبة الأطراف فجعلها عناباً تلطم به ورداً ، فأتى بالظرف كله والحسن أجمعه والتشبيه على حقيقته ، وجاء أبو تمام بالجهل على وجهه ... والخطأ بعينه)) (٥). فالذوق هو الذي رفض قول ابي تمام وعده قبيحا شنيعا ، واستساغ واستسلم لقول ابي فراس وهنا ((يظهر الذوق في استعمال اللغة وصياغة ما تريد العبارة عنه من معنى ، وهذا شيء لا يمكن ان يعلل وانما نستطيع ان نحس به ، فقول ابي تمام (ملطومة بالورد) أي حمراء الخد قول يمجه كل ذوق سليم)) (٦).

---

(١) سورة مريم/٢٥ .

(٢) لسان العرب : ٤٥٥/٢ .

(٣) الذوق اللغوي عند ابن جني : ٢٥٩-٢٦٠ ، (بحث) .

(٤) ينظر : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٤٩ .

(٥) شرح ديوان أبي تمام : ٧١/٢ .

(٦) ينظر : النقد المنهجي عند العرب : ١٠٠ .

وبالذوق اللغوي ترد الظواهر اللغوية الى الاصل الذي تنبعث منه ، ولهذا اثر كبير في اللغة ، اذ به نستطيع ان نصوغ القواعد والاطر التي تحكم سير العملية اللغوية ، فلمعرفة الاصل والفرع دلالات كثيرة واثر كبير في الاستعمال ، فبه نعرف لم عبر بالفرع هنا وجاء بالاصل هناك ، وهل التعبير بالفرع يقوم مقام الاصل ؟ وهل لاستعمال الفرع عدولا عن الاصل مغزى معين ؟ ، فـ ((الذوق العربي في الاداء اللغوي (النطق) وما يرتبط بهذا الذوق من الظواهر السياقية ، فقد تكون هناك قاعدة اصلية صوتية او صرفية او نحوية يرد عليها من المواقع ، ما يجعل الالتزام بتطبيقها في النطق منافياً للذوق العربي ، فالاصل الفك ولكن توالى المثلين يؤدي الى ايجاد قواعد فرعية للادغام ، ومثل ذلك يقال في حركة الاعراب والعدول عنها الى سكون الوقف أو الى حركة المناسبة والأصل التصحيح ، ولكن الموقع قد يحتم العدول الى الإعلال والإبدال ، والأصل أن تبدأ الكلمة (من حيث نظام اللغة – أي من الناحية النظرية البحتة) بالساكن في بعض الحالات ، ويعدل عن هذا الأصل بقاعدة التوصل ، والأصل أن يتجاور ساكنان نظرياً ولكن يعدل عن هذا الأصل الى التخلص – وهكذا الحال مع ظواهر الحذف والاسكان والطول والقصر والإفراد والتشديد والإشباع والإضعاف... الخ))(١).

إن هذا قائم على نظرية تقارب مخارج الحروف أو تباعدها ، الذي يؤدي إلى التنافر بينها أو الثقل في النطق فيلجأ الذوق اللغوي الى قوانين وأنظمة جديدة استقرت على شكل قواعد متوارثة تلقائياً غير مكتوبة ، كأنها حقائق عرفية معتادة ، فيلغي القاعدة السابقة ، حتى لو اطّردت، لأنهُ لا يألفها ولا يقبلها ، طلباً للخفه ، أو لتقليل الجهد ، أو لدوام سير النطق ، فمثلاً عند تجاور الدال الساكنة مع التاء المتحركة ينشأ منه صعوبة في النطق ، والذوق اللغوي لا يقبله فيعدل عن ذلك الى الادغام للتخلص من الثقل الناتج من التنافر ، كقولنا في (قَعَدْتُ) : قَعَتّ عند النطق بها(٢).

فالفيصل في حسن الاداء وقوته وجماله لا يقتصر على القياس اللغوي انما يتعداه الى الذوق العربي المتمرس بنصوص اللغة واثارها المختلفة(٣). فالانظمة اللغوية تلجأ الى الاعلال والقلب للواو والياء اذا كانتا متحركتين منفتحاً ما قبلهما ، فتُقلب الواو أو الياء ألفاً في (قَوَل) و (بَيَع) ، لكن القاعدة قد لا تنطبق بالقلب اذا قبلها الذوق المسموع عن العرب حتى لو

---

(١) الأصول : ١٤٦ .

(٢) اللغة معناها ومبناها : د. تمام حسان : ٢٦٢ .

(٣) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية : د. شفيع السيد : ٧ .

خالفت القياس ، كما في (عَوِر) ، فقياسها القلب ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، لكنها موافقة للوضع المألوف ذوقاً(١).

ذكر سيبويه أن العرب يكرهون الأصوات المتقاربة ، فيلجأون الى الابدال للتخلص من الثقل ، قال في (وُجوه) في الواو الاولى : ((وانما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمة ، كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قؤول و مؤُنة ، واما الذين لم يهمزوا فانهم تركوا الحرف على أصله ، كما يقولون : قُوُول فلا يهمزون ومع ذلك ان هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل فأردوا أن يضعوا مكانها حرفا أجلد منها ، ولما كانوا يبدلونها وهي مفتوحة في مثل وَناة و أناة ، كانوا في هذا أجدر يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون ، فصار الابدال فيه مطرداً حيث كان البدل يدخل فيما هو أخف منه)) (٢).

أما في التقاء الساكنين ، فان الذوق العربي يلجأ فيه إلى نظام آخر للتخلص من الثقل ، قال أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) : ((وذلك قولك في الجزم : لم يَقُمْ ، ولم يَبِعْ ، ولم يَخَفْ، وفي الوقف في الأمر اذا قلت : قُمْ و بِعْ و خَفْ ، فقولك : لم يَقمْ ، الأصل فيه قبل الجزم "يقوم" فاذا جزمت ، سَكن لام الفعل للجزم ، وحروف اللين قبلها ساكنة فحذفتهن لالتقاء الساكنين)) (٣).

وبهذه المقاييس فان الذوق اللغوي يتحكم في تكوين الظواهر السياقية وذلك لكراهيته تجاور الاصوات أو الصيغ التي يتنافى تجاورها لما قد يحدث من هذا التجاور من غموض أو لبس خارج عن المألوف ، ولذلك فان الذوق الصياغي العربي يكره التقاء الاضداد مطلقاً(٤). فيعدل عن الاصل ، مما يؤدي الى اغناء اللغة من المفردات والأبنية ، واكسابها مرونة ويسراً، وهذا يؤدي الى ازدياد مجال البحث اللغوي ، لأن محاولة معرفة الأصل من الموضوعات المهمة لدى اللغويين(٥).

والذوق المرهف هو الذي يستطيع أن يدرك صور القياس البعيد الذي ربما تكون الصلة بين المقيس والمقيس عليه خفية غير جلية ، يكتنفها الغموض ويحيطها الإبهام فتحتاج الى تجلية تعطيها حكم الوضوح ودرجة البيان ، وربما كانت العلة الجامعة بين الشيئين فيها تفريعات وتقسيمات بعضها ينطبق على احد الشيئين والآخر لا ينطبق عليه فتحتاج الى ذوق

---

(١) التنافر الصوتي والظواهر السياقية : د. عبد الواحد حسن الشيخ : ٣٢ .

(٢) الكتاب : ٣٣١/٤ .

(٣) كتاب التكملة : ١٧١ .

(٤) التنافر الصوتي والظواهر السياقية : ٣٣ .

(٥) العدول عن الأصل في أبنية الكلم : د. المتولي علي المتولي : ٩٠ .

فاحص ليقرب بعضها من بعض ويرد إحداها إلى الاخرى ، ولنأخذ مثالاً على ذلك ، هل الأصل في القَسَم هو الباء والواو مبدلة منها وما الدليل على ذلك ؟ .

لقد أجاب ابن جني بذوقه وحسه اللغوي عن هذا السؤال إجابة مقنعة يشفعها الدليل المحكم ، وقد أورد لأصالة الباء سببين :

((أحدهما : أنها موصولة للقسم إلى المقسم به في قولك : أحلف بالله ، كما توصل الباء الممرور الى الممرور به في قولك : مررت بزيد .

والآخر : أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر ، تقول : بالله لأقومن وبه لأقعدن ، والواو لا تدخل على المضمر البتة ، تقول : والله لأضربنك ، فان أضمرت قلت : به لأضربنك ، ولا تقول : وه لأضربنك ، ورجوعك مع الإضمار الى الباء يدل على انها هي الأصل)) . ثم علل بإبدال الواو من الباء بأمرين :

((أحدهما : مضارعتها إياها لفظاً ، والآخر مضارعتها إياها معنى .

- أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك .
- وأما المعنى فلأن الباء للالتصاق والواو للاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه)) (١).

لقد استعمل ابن جني في المثال قواعد كثيرة ليصل الى مبتغاه ، فأورد لأصالة الباء سببين ، يستند الاول منهما الى النظير المتشابه ، فالباء هنا أصلية لأنها لم تخرج عن معناها ، وهو إيصال شيء بشيء كما تصل الممرور الى الممرور به ، ويستند الثاني على قاعدة أن الشيء إذا كثر تصريفه في الكلام وجاء ما يشابهه ، ولكنه كان أقل منه تصريفاً دل ذلك على أن الاول هو الاصل .

ثم كيف علل الإبدال بعلل لا تصدر إلا من حس مرهف وذوق عميق ودقة في ملاحظة الظواهر اللغوية ، استند تعليله الاول على ظاهرة صوتية لفظية ، فالحرفان كلاهما من مخرج واحد سهل ذلك كثيراً وقع أحدهما مكان الآخر ، واستند تعليله الثاني الى ظاهرة معنوية وهي البحث عن معنى واحد هو الاجماع .

ونورد هنا مثالاً آخر يدل على وجود العلاقات البعيدة التي تربط ظواهر اللغة المختلفة التي كشفها ابن جني بحسه اللغوي في قضايا اللغة والقياس والتدليل ، ويعود أثر ذلك الى إثراء اللغة ، قال ابن جني في قراءة أم الدرداء : (حتى إذا كنتم في الفلكي) (٢). بكسر

---

(١) ينظر : سر صناعة الإعراب : ١٥٩/١-١٦٠ .

(٢) سورة يونس/٢٢ ، وقراءة المصحف :﴿ الفلكِ ﴾..

الكاف ، قال : ((أعلم أن العرب زادت ياء الإضافة فيما لا يحتاج إليها من ذلك قولهم في الأحمر : أحمري ، وفي الأشهر أشهري ، قال العجاج :

والدهر بالإنسان دوّاري

أراد دوار ... فان قيل : فان هذا أمر يختص بالصفات ، وليس الفلك بصفة فتلحقه ياء النسب ، قيل : قد جاء ذلك في الاسم أيضاً ، ألا ترى الى قول السلطان :

أنا الصلتاني الذي(١).

وأيضاً فقد شبه كلاً من الاسم والصفة بصاحبه ، فغير منكر أن يشبه الفلك بالحلو والمر ، ويزيد من شبهه به ، أن الفلك عندنا اسم مكسر ... وإذا كان جمعاً مكسراً أشبه الفعل من حيث كان التكسير ضرباً من التصرف وأصل التصرف للفعل ، ألا ترى أن ضرباً من الجمع أشبه الفعل فمنع من الصرف ، وهو باب : مفاعل ومفاعيل ، ولأن التكسير ثانٍ كما أن الفعل ثانٍ ، وإذا أشبه التكسير الفعل من حيث وصفنا قارب الصفة لشدة ملابسة الصفة للفعل لفظاً ومعنى وعملاً)) (٢). فابن جني أراد أن يجد للقراءة وجهاً مقنعاً في اللغة فذكر أن العرب زادت ياء الإضافة مع انتفاء الحاجة إليها ، وقوى ذلك بنظير من الشعر من كلام العرب ، ثم قوى ذلك بإيراد نظائر أخرى جاءت في الصفات وليس في الأسماء ، فحاول أن يوجد علاقة بين الاسم والصفة من خلال تشبيههما ، قال : (فقد شبه كل واحد من الاسم والصفة بصاحبه ، فغير منكر أن يشبه الفلك بالحلو والمر) ، ثم حاول إيجاد العلاقة بين الاسم والصفة بالفعل ، ففعل الآتي :

١. (شبه الاسم بالفعل) للملابسة بينهما في اللفظ والمعنى والعمل .
٢. (شبه الصفة بالفعل) للملابسة بينهما في اللفظ والمعنى والعمل .

فجعل الفعل طريقاً وسبباً في تقارب الصفة والاسم .

فهذا التدليل لا يصدر إلا من ذوق لغوي رفيع ، فقد أضاف هذا التوجيه اتساعاً في كشف العلاقات بين المصطلحات اللغوية وإثرائها بهذه الوجوه البعيدة .

فالمتذوق وحده قادر على كشف الوجوه الجائزة في النص ، لأن الذوق العالي يعينه على ذلك، فالتوجيه اللغوي للمسائل محتاج الى رد الى الأصل ، وهذا الامر لا يقدر عليه الا من صقلت موهبته بالدرس وذو البصر فهو يستطيع أن يعلل مسائل كثيرة تعليلات عديدة ، ومن ذلك معالجات النحاة في المسائل النحوية ، وتعدد الوجوه المحتملة لهم ، واختيار وجه

---

(١) من قوله : أنا الصلتاني الذي قد علمتم ... متى يحكم فهو بالحق صادع ،
ينظر البيت في : كتاب الأمالي : أبو علي القالي : ١٤١/٢ .

(٢) المحتسب : ٣١١/١ .

اعرابي على آخر ، وهي ناتجة عن فهم دقيق ونظر عميق في للغة ، كما ورد عند الفراء (ت ٢٠٧)، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(١).

((وأما نصبهم "بعوضة" فيكون على ثلاثة اوجه : أولهما : أن تُوقع الضرب على البعوضة ، وتجعل "ما" صلة ، كقوله تعالى : ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ (٢).يريد عن قليل المعنى – والله أعلم– ان الله لايستحيي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلاً .

والوجه الآخر : أن تجعل "ما" اسما ، والبعوضة صلة فتُعَرّبها بتعريب "ما" . وذلك جائز في "مَنْ" و "ما" لأنهما يكونان معرفة في حال ونكرة في حال ... والرفع في "بعوضة" ها هنا جائز ، لان الصلة تُرفَع ، واسمها منصوب ومخفوض .

وأما الوجه الثالث–وهو أحبها إليّ–فأن تجعل المعنى على : إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة الى ما فوقها . والعرب اذا ألقت "بين" من كلام تصلُح "إلى" في آخره نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـــ"بينَ" والآخر بـــ"إلى" . فيقولون : مُطِرْنا ما زُبالةَ فالثعلَبيّة ، وله عشرون ما ناقةً فجملاً ، وهي أحسن الناس ما قَرْنًا فقَدَماً ، يراد به ما بين قرنها الى قدمها ...)) (٣).

وقال أبو علي الفارسي في توجيه اعراب (عليكم اليوم) في قوله تعالى : ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (٤). ((فلا يخلو قوله : عليكمُ اليوم من أن يكون تعلقهما بتثريب الذي هو المصدر أو بغيره ، فلا يجوز أن يتعلق بالمصدر ، لأنه لو تعلق به لكان صلة له ، ألا ترى أن ما يتعلق بالمصدر يكون من تمامه ومن صلته ، واذا كان من تمامه لم يجز بناؤه على الفتح من دونه ، كما أن ما يتعلق باسم الفاعل في نحو لا آمراً بالمعروف لك إذا جعلت الباء من صلة الآمر ، ولا ضارباً رجلاً عندك لا يجوز أن يبني الاسم دونه ، لأن البناء انما يكون في آخر الاسم ، كما أن التثنية والجمع كذلك ، فكما لا يُثنى قبل أن يتمّ بصلته كذلك لا يجعل مع الاول اسماً واحداً ، كما أن لا خيراً من زيد كذلك ، فاذا لم يجز تعلقهما ولا تعلق واحد منهما بالمصدر تعلق بغيرهما ، فيمكن أن يكون (عليكم) صفة للمصدر ، لانه نكره والجارّ كان في الأصل متعلقاً بمضمر يكون في موضع الصفة ، ويكون (اليوم) في موضع الخبر ، لأنه مصدر ، فتكون أسماء الأحيان خبراً عنه .

ويجوز أيضاً أن يكون (اليوم) متعلقاً بما هو في موضع صفة ، كما كان (عليكم) كذلك ، فاذا حملته على هذا أضمرت خبراً وجعلت (عليكم) أيضاً مثاه .

ويجوز أن يتعلق اليوم بعليكم على أن تكون ظرفاً له ، فاذا حملته على هذا أضمرت أيضا خبراً .

---

(١) سورة البقرة/٢٦ .

(٢) سورة المؤمنون/٤٠ .

(٣) معاني القرآن : ١/٢١-٢٢ .

(٤) سورة يوسف/٩٢ .

ويجوز أيضاً أن يتعلق اليوم بعليكم على أن يكون (عليكم) خبراً لا صفة . ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (١).))(٢).

ومثل ذلك كثير في التراث اللغوي ، اذ ان المتذوقين يعملون على تنمية اللغة واتساعها بكثرة احتمال الوجوه الجائزة في قضايا اللغة والنحو .

الخاتمة

لا شك أن الذوق اللغوي لا يعد دليلاً قوياً ، لأنه مسألة فردية غير منضبطة تتعلق بقدرات المتذوق الشخصية ، ومواهبه وإمكاناته ، ويعول عليه عند عدم توافر الدليل اللغوي القوي ، ويلجأ إليه للاستئناس به تارة عند توافر الدليل كالقياس ، او للتأكيد والتقوية عند الحاجة الى ذلك ، كما ورد عند قول ابن هشام السابق (والذوق والاستعمال يشهدان بذلك) ، ونحتاج اليه عند الاحتكام الى صور بعيدة لايجاد العلاقة المقنعة بينها او النتيجة المرضية عقلا وذلك باستغلال القدرة اللغوية الفسيحة تحت منظور شجاعة العربية في اتساع اللغة واثرائها ، وفي ذلك قد يتوصل الى الدليل القوي بوساطة الذوق اللغوي كما فعل ابن جني عند ايجاد العلاقة والشبه بين الاسم والصفة ، فالموهبة والتعلم لمنطقيات اللغة واساليبها تملأ النفس ذوقاً وحساً مكتسباً يجعله قادراً على تمييز النظام اللغوي الصائب ، شاعراً بجماليات التوافق ، وتحديد التنافر بين اصوات اللغة وحروفها ونظامها .

---

(١) سورة هود/٤٣ .

(٢) الحجة في علل القراءات السبع : تحقيق : د. عبد الحليم النجار وآخرَيْن : ١/١٤١-١٤٢ .

ثبت المصادر والمراجع

- ابن جني النحوي : د. فاضل صالح السامرائي : دار النذير : بغداد ، ١٩٦٩م .
- ابو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة العربية وأثاره في القراءات والنحو : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة مصطفى البابي الحلبي : القاهرة : ١٩٥٨م .
- الأصول ، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : د. تمام حسان : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد – العراق ، ١٩٨٨م .
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : د. نايف خرمة : المجلس الوطني للثقافة والفنون: الكويت : ١٩٧٨م .
- تاريخ النقد الادبي عند العرب : د. إحسان عباس : دار الثقافة : بيروت – لبنان : ط٤ : ١٩٨٣م .
- التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية : د. شفيع السيد : مطبعة الاستقلال : القاهرة : ١٩٧٧م.
- التعريفات : على بن محمد الجرجاني : ت (٨١٦هـ) : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد – العراق : (د.ت) .
- التنافر الصوتي والظواهر السياقية : د. عبد الواحد حسن الشيخ : مطبعة الاشعاع : مصر: ١٤١٩هـ–١٩٩٩م .
- توطئة لدراسة علم اللغة ، التعاريف : التهامي الراجي الهاشمي : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد – العراق : ١٩٨٨م .
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء : عبد النبي عبد الرسول الاحمد نكري : مؤسسة الاعلمي : بيروت – لبنان : ط٢ : ١٩٧٥م .
- جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ت (٣٢١هـ) : دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن–استانبول : ١٣٤٥هـ .
- الحجة في علل القراءات السبع : أبو الحسن بن أحمد الفارسي : (ت ٣٧٧هـ) : تحقيق : د. عبد الحليم النجار وآخرين : مصر : (د.ت) .
- الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني : ت (٣٩٢هـ) : تح : محمد علي النجار : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد – العراق : ١٩٨٦م .
- ديوان العجاج : برواية عبد الملك الاصمعي : تح : عزة حسن : مكتبة الشروق : بيروت: ١٩٧١م .

- سر صناعة الاعراب : ابو الفتح عثمان بن جني : ت (٣٩٢هـ) تح : مصطفى السقا ومحمد الزفزاف ابراهيم مصطفى ، وعبد الله امين : مطبعة مصطفى البابي الحلبي : القاهرة – مصر : ١٩٥٤م .
- سر الفصاحة : ابو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) : صححه : عبد المتعال : مطبعة محمد علي : مصر : ١٣٧٢هـ-١٩٠٣م .
- شرح ديوان ابي تمام : الخطيب التبريزي : دار الكتاب العربي : ط٣ : بيروت ، ١٩٨٨م.
- شرح ديوان المتنبي : عبود احمد الخزرجي : المكتبة العالمية : بغداد : (د.ت) .
- شرح قطر الندى وبل الصدى : عبد الله بن هشام الأنصاري : ت (٧٦١هـ) : تح : محمد محيي الدين عبد الحميد : مطبعة السعادة : القاهرة – مصر : ط٤ : ١٩٨٤م .
- شرح الكافية في النحو : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي : ت (٦٨٦هـ) : دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان : ١٩٨٥م .
- العدول عن الأصل في أبنية الكلم : د. المتولي علي المتولي : مصر : ٢٠٠٣م .
- كتاب الامالي : ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي : دار الفكر : بيروت (د.ت) .
- كتاب التكملة : ابو علي الفارسي : تحقيق ودراسة : كاظم بحر مرجان : دار الكتب : الموصل : ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- كتاب سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر : ت (١٨٠هـ) : تح : عبد السلام محمد هارون: عالم الكتب : بيروت –لبنان : (د.ت) .
- كتاب العين : الخليل بن احمد الفراهيدي : ت (١٧٥هـ) : تح : د. مهدي المخزومي ، ود. ابراهيم السامرائي : دار الحرية : بيروت – لبنان : ج٣ : (د.ت) .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : محمد بن عمر الزمخشري : ت (٢٥٨هـ) : مطبعة مصطفى محمد : القاهرة – مصر : ١٣٥٤هـ .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ايوب بن موسى الكفوي : ت(١٦٨٣م). تح : عدنان درويش ، ومحمد المصري : دمشق – سوريا : ١٩٧٥م .
- لسان العرب المحيط : محمد بن مكرم بن منظور : ت (٧١١هـ) : ترتيب : يوسف خياط : دار لسان العرب : بيروت– لبنان (د.ت) .
- اللغة معناها ومبناها : د. تمام حسان : الهيئة المصرية العامة : ١٩٧٣م .
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير ت(٦٣٧هـ) تح : د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة : ط٢ : الرياض : ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني : تح: ج١، علي النجدي ناصف، و د. عبد الحليم النجار ، و د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي : المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية : القاهرة : ١٩٩٩م .
- معاني القرآن : ابو زكريا يحيى الفراء : ت (٢٠٧هـ) : تح : أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار : نسخة مصورة عن عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .
- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي : مطبعة دار الحكمة : الموصل – العراق : ١٩٩١م .
- المعجم الأدبي : جبور عبد النور : دار العلم للملايين : بيروت –لبنان : ١٩٧٩م .
- المعجم الفلسفي : جميل صليبا : دار الكتاب اللبناني : بيروت – لبنان : ط٢ : ١٩٧١م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب : مجدي وهبة وكامل المهندس : بيروت – لبنان ،ط٢ : ١٩٨٤م .
- معجم مفردات القران : حسين بن محمد الراغب الاصفهاني ت (٥٠٣هـ) : تح : نديم مرعشلي : دار الكتاب العربي : بيروت – لبنان : (د.ت) .
- معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ت (٣٩٥هـ) : تح : عبد السلام هارون : دار الفكر : بيروت – لبنان ١٩٧٩م .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : عبد الله بن هشام الأنصاري ت (٧٦١هـ) : تح : محمد محيي الدين عبد الحميد : القاهرة –مصر : (د.ت) .
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : نعمة رحيم العزاوي : وزارة الثقافة : العراق : ١٩٧٨م .
- النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور : مطبعة الفكرة : القاهرة – مصر : (د.ت) .

البحوث المنشورة في الدوريات

- الذوق اللغوي عند ابن جني : شعبان عبد العظيم عبد الرحمن : جامعة الأزهر : حولية كلية اللغة العربية – القاهرة : ع٢ : ١٩٨٤م .
- موقف النقاد العرب من قضية الذوق الفني : جهاد المجالي : مؤتة للبحوث والدراسات : مج٨ : ع٢ : ١٩٩٣م .
- نظر الجاحظ في فهم وذوق النص القرآني والحديثي : مصطفى الصادق الجويني : مجلة مجمع اللغة العربية – القاهرة : ج٢٧ : ١٩٧١م .